المحاضرة الخامسة

لقاء النبي (صلى الله عليه واله وسلم) بالوحي١

يا ترى كيف كان لقاؤه الأول بالوحي ؟ وأين ؟ ومتى ؟ وبأي صورة رآه فيها ؟ وماذا كانت ردة فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ؟ في الواقع من خلال تأمل الروايات يمكن إيجاز أهم ما جاء فيها بوصفها إجابات لهذه للأسئلة :

أ- المكان الذي نزل فيه الوحي لأول مرة: كالعادة تباينت الروايات في تحديد المكان الذي التقى فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالوحي أول مرة ، فعدد من الروايات يقول انه في حراء لما اعتزل فيه للتحنث، إذ تقول: " حتى فجئه الحق وهو في غار حراء، فيما تأتي روايات أخرى لتقول إن اللقاء تم في منطقة أجياد، وثالثة تقول انه إلتقاه عند خروجه من حراء باتجاه الوادي ، إذ ينسب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: " فلما قضيت جواري فاستبطنت بطن الوادي، فنوديت...". أو أنه وقع في بطحاء مكة، أو في بيته وأخرى في طريقه إلى حراء.

ب- كيف ظهر له الملك في لقائه الأول به ؟ إن المتتبع للروايات التي تناولت هذا الجانب يلاحظ إجماع مؤكد على تصوير أن اللقاء قد حدث فجئة ودون سابق توقع! وبها تؤول حالة الفزع والخوف التي انتابت النبي . هذا من جانب ، ومن جانب آخر، فإن هذا الملك لم يعرف نفسه

للنبي صلى الله عليه وآله وسلم على انه مرسل من الله وانه جبريل الأمين، بل باغته وأمره بالقراءة مباشرة دون أي تأنٍ " فجئه الملك فيها فقال له اقرأ ". إلى غيرها من الإشارات.

بينما صرحت روايات أخرى بأنه فاجئه بالنداء دون ظهور شخصه فقط يناديه يا محمد! ويختفي ،فلماذا يتعامل جبريل هكذا معه صلى الله عليه وآله وسلم لماذا لا يظهر له بوضوح ؟ ما معنى النداء ثم الاختفاء؟ بل إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في رواية أخرى لما سمع النداء هرب بعيدا ، ولم ينتظر ليتأكد من المنادي ؟ حتى طلب منه ورقة بن نوفل أن " لا تفعل إذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول ، ثم ائتني فاخبرني" .

بل الأغرب من ذلك إن هذا الملك لم يراع حالة الدهشة والفزع التي انتابت النبي صلى الله عليه وآله وسلم بل انه ليعامله بمنتهى القسوة والعنف كما أدلت بذلك النصوص: " فأخذني فغتني- أو غطني- حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني " ، يفعلها معه ثلاثا " حتى ظننت انه الموت "، وفي كل مرة يقول له: " اقرأ " ، والنبي لا يعرف ماذا يقرأ ، فيرفض قائلا: " ما أنا بقارئ "، وتارة يعترف بأنه لا يقرأ ، " ولم أكن قرأت كتابا قط ، فلم ادر ما اقرأ "، وثالثة نجده يتساءل : " ماذا اقرأ " أو " ما اقرأ " ، ولكن العجيب إن موقف الوحي واحد في كل الحالات التي تنوعت فيها النصوص ، وهو انه يستخدم العنف مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، بل انه في إشارة من احدى الروايات التي تنسب إلى النبي

صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : " أخذ بحلقي حتى أجهشت بالبكاء ". عندها اضطر النبي أن يلبي ما طلبه منه على مضض ، وان يقرأ ما أراد الذي تارة كان مشافهة ، وأخرى قراءة بكتاب ما ، فقرأ " تنجيا أن يعود لي بمثل الذي صنع بي ".

أما عن الهيأة التي رأى فيها جبرائيل فقد تباينت الروايات بهذا الخصوص : فرواية غيبت شخص جبريل ليسمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم مجرد نداء يناديه باسمه ، أو انه يسمع صوتا يسلم عليه (السلام عليك)، وفي روايات يتجسد له جبرائيل في صورة ما قد لا تصفها رواية، ولكن رواية أخرى تقول: " فرأى مثل السرير بين السماء والأرض وعليه درنوكة قد غطت الأفق، وعليه جبريل مثل النور المتوقد يتلالا حتى كاد أن يغشى البصر".

موقف النبي :

ولأن جبريل لم يعرف نفسه في هذا اللقاء الأول على رأي اغلب الروايات ، وأنه قد عامل النبي بمنتهى القسوة ، كانت ردة فعله صلى الله عليه وآله وسلم سلبية ، فقد ذعر ، وارتجفت بوادره، ورجف قلبه، وتارة يقول: " فجثيت منه فرقا - أو رعبا - حتى هويت إلى الأرض "، وفي رواية " فأخذتني رجفة شديدة "، بل " فهربت منه" ، وفي نص آخر" فجثوت لركبتي ، وأنا قائم ثم زحفت ترجف بوادري "، بل " ففزع فزعا شديدا ، ثم وقع مغشيا

عليه ، ولبث ساعة ثم أفاق يمشي وبه رعدة شديدة ، ورجلاه تصطكان ".

اضطر الوحي للعودة ثانية ، ولكن لماذا ؟ يظهر اراد أن يعرف نفسه ، إذ في هذه المرة صرّح له بأنه جبريل ، وكأن اللقاء الأول كان مجرد فرصة لتخويف النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو اختبار لقواه البشرية هل تحتمل هذا الجو الملائكي ؟! إذ يؤول البعض ما حدث من حالة الفزع والرعب والخوف في ذات النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنها حالة طبيعية " وما تأكيدنا لهذه الرهبة والشدة والفزع إلا لنصل إلى حقيقة أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بشر عادي في خصائصه وتركيبته النفسية وأن سلامته من كل عارض تستدعي أن يصدر مثل هذه الانفعالات المتوقعة من أي شخص سليم قد يتعرض لما يشبه هذا الموقف الجلل ". قد فسّر بعضهم الشدة التي تعتري النبي صلى الله عليه وآله وسلم حينما يأتيه الملك الوحي في صورته الملائكية بان منشأها " تقريب الطبيعة البشرية إلى الأوضاع الملكية والجو الملائكي ".